# المقدمة

تكاد التربية المستمرة أن تكون على رأس قائمة الأولويات التي تشغل بال المهتمين بالتربية والتنمية في هذه الأيام. ولا يخفى أنّ الحلقات الدراسية والمؤتمرات الدولية والإقليمية والمحليّة التي عُقدت لمناقشة هذه المسألة كثيرة جداً، لدرجة يَصْدق معها القول بأنّها قتلتها بحثاً. فَلقد قيل الكثير عن أهمية التربية المستمرة، وتعليم الكبار وانعكاس ذلك على التنمية، ودرء خطر الأمية عن الأفراد والجماعات.

والإجماع قائم على أنّ التربية المستمرة هي السبيل لتحرير «الإنسان من قيد العجز الفكري، وإطلاق طاقاته الخلّاقة، وصقل قدراته المبدعة، وتأهيل مهاراته وتقنين خبراته تمكيناً له من التداول على مستوى المجتمع وعلى مستوى العصر»[1].

ولا يعني هذا أنّ التربية المستمرة وتعليم الكبار هي اكتشاف جديد أو من مستحدثات العصر. فالفكرة التي تشير إلى «تعليم» يبدأ من لحظة الميلاد، ولا ينتهي إلّا عند الممات، دعا لها الإسلام ومارسها المسلمون اقتداءً بالرسول ﷺ. إذ ليس للتعليم سِنٌ محددة في الإسلام ولا مكان محدد، إضافة إلى أنّ الإسلام عمل على المساواة بين الجنسين الذكر والأنثى، وأتاح فرص التعليم للجميع، وكان بذلك سبّاقاً لتقرير مبدأ التربية المستمرة وتعليم الكبار استجابة لدواع دينية تتعلق بنظرة الإسلام الشاملة في حقوق وواجبات الإنسان، الذي يُعَدُّ خليفة الله ﷻ في الأرض.

واتَّسم تعليم الكبار في الإسلام بظاهرتين أساسيتين: **أولاهما**: «شعبيته وديمقراطيته» كمؤسسة وارتباطه العضوي بالمجتمع كمؤسسة أم، **وثانيهما**: الزاميته

---

(1) سعيد إسماعيل علي: **الأمية في الوطن العربي**، ص: 13.

بمعنى أنّ تعليم القراءة والكتابة كان مدخلاً إلى تعليم الدين، أي تمكين المسلمين من القيام بالواجبات الدينية المفروضة عليهم[1].

وبلغت حيوية العرب وتشجيعهم لتعليم الكبار أنّهم رأوا حسب ما عبّر الغزالي عن ذلك في تحديده لوظائف المُعلم: أنّ على الأخير «أن يقتدي بصاحب الشرع، فلا يطلب على إفادة العلم أجراً ولا يقصد به جزاءً وشكراً، بل يعلّم لوجه الله تعالى»[2] ولم تكن هناك عقبات من أي نوع تحول دون تلقي العلم ـ على اعتبار أنّ العلم فريضة ـ في أية مرحلة عمرية بعيداً عن قيود الزمان أو المكان.

ويستمد البحث الذي بين أيدينا أهميته من عظمة وعمق التجربة الإسلامية في مجال تعليم الكبار. هذه التجربة التي انتقلت بالمجتمع العربي من مستنقع التخلف والجهل إلى قمم التقدم والإزدهار، حيث حلّ النور مكان الظلام، والعلم مكان الجهل، والإسلام مكان الكفر والإلحاد؛ وانتقل الناس من عبادة الأوثان إلى عبادة الواحد الدّيان.

ومما يزيد في أهمية البحث تطلع المجتمع العربي الإسلامي اليوم لإيجاد نظام للتربية المستمرة، وتعليم الكبار يلبي حاجات هذا المجتمع وتطلعاته للّحاق بركب التقدم والتطور. لذا فإنّ كل جهد أو سعي يهدف للإفادة من التجربة الإسلامية ـ في مجال تعليم الكبار ـ من خلال إلقاء الضوء على عناصرها ومقوماتها المختلفة لا بد وأن يكون له أهمية كبيرة، خاصة، وأنّ تعليم الكبار اليوم يستحوذ على اهتمام كافة دول العالم دون استثناء.

وهكذا فإنّ أهمية البحث تكمن في أهمية الموضوع الذي يتناوله بالمعالجة، إضافة إلى عدد من العوامل التي يمكن إيجازها فيما يأتي:

**1 ـ** الحاجة إلى مواكبة التقدم العلمي و«التكنولوجي» الهائل مما يستدعي تعليم وتدريس الناس من جميع الأعمار على اعتبار أنّهم يُمَثّلون القوى العاملة في المجتمع.

---

(1) صالح عزب وزميله: **الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار، الفلسفة المسيرة، الآفاق**، ص: 5.
(2) الغزالي: **إحياء علوم الدين**، 3/ 70.

2 ـ يعتبر تعليم الكبار ضرورة لا غنى عنها من أجل تطوير وتجديد معارف الكبار في مواجهة التفجر المعرفي الذي تشهده الساحة الدولية، حيث إنّ النظم التعليمية المعروفة أعجز من أن تقدم ذلك القدر المتنامي من المعلومات إلى طلاب العلم.

3 ـ يساعد تعليم الكبار على تحقيق تفاهم أفضل بين فئات المجتمع، إضافة إلى أنّه يسهم في رفع كفاياتهم لحل ما يواجههم من المشاكل على الصعيد الفكري والاجتماعي والمهني، مما يؤثر إيجاباً في مجالات الإنتاج، ومن ثم بالتنمية بكافة أشكالها البشرية والاقتصادية.

4 ـ يشكل الانفجار السكاني مشكلة من أخطر المشكلات التي تواجه العالم اليوم، لما لذلك من آثار مباشرة تتسبب في تفشي ظاهرة الأمية التي تتزايد باستمرار نتيجة الكثافة السكانية المطردة، وهو ما يتطلب إعادة النظر في النظم التعليمية القائمة على أمل التوصل إلى حل جذري لهذه المشكلة، التي أصبح من الواجب القضاء عليها بشتى الأساليب.

وعلى ضوء هذه المعطيات يتوقع من القارىء أن يتمكن من تحقيق ما يأتي:

1 ـ تكوين إطار مرجعي مشترك لمفهوم التربية المستمرة، وتعليم الكبار عند المسلمين يتضح من خلال الأسس التي يُبنى عليها هذا المفهوم.

2 ـ معرفة دوافع وأهداف التربية المستمرة، وتعليم الكبار في ضوء التربية الإسلامية، ونظرة الإسلام لله والكون والإنسان.

3 ـ تحديد طرائق وأساليب تعليم الكبار والإفادة منها في ميدان التعليم المستمر والتعلم الذاتي انطلاقاً من كون الإنسان صاحب رسالة وخليفة الله في الأرض.

4 ـ التعرف على أماكن تعليم الكبار عند المسلمين، وكيفية العمل فيها، ومحاولة الإفادة من النظم الإدارية والإشرافية التي كانت تحكم هذه المؤسسات.

5 ـ الوقوف على أنواع تعليم الكبار عند المسلمين، والتحقق من أهمية كل منها في دفع حركة التربية المستمرة وتعليم الكبار إلى الأمام.

**6** ـ العمل على تطوير الممارسات الحالية المتصلة بتعليم الكبار من خلال الإفادة من تجربة تعليم الكبار عند المسلمين، واستخدامها استخداماً وظيفياً إلى جنب الاتجاهات الحديثة المقترحة في هذا المجال، والعمل على تطويعها لخدمة الحاجات العملية الواقعية للمجتمع العربي الإسلامي في مجال تحسين الممارسات التعليمية والتعلمية لمعلمي الراشدين والمتعلمين الراشدين.

وعلينا أن ندرك أنّه لا تنمية حقيقية بدون تنمية الإنسان، الذي يُمثل أعظم مجالات التنمية وأكثرها نفعاً في كافة المجتمعات وعلى مرّ الأزمان.

**والله ولي التوفيق**

**د. أيوب دخل الله**

obeikandl.com